جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

أثر (ظاهرة تأثير بجماليون) على طلبة التربية الفنية من خلال دراسة مساقات الخزف: استقصاء دور رفع التوقعات في الحقل التربوي الجامعي لتعليم الفنون

الدكتور بدر محمد المعمري
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

الاستاذ يعقوب حسين أحمد العتوم
الجامعة الاردنية
الاردن

ملخص:

عندما يدفع التربوي بتوقع ما فأن ذلك التوقع يؤثر مباشرة على صيرورة العملية التعليمية بغض النظر عن فاعلية أداء المتعلمين في الميدان التعليمي، هكذا كانت رؤية (ظاهرة تأثير بجماليون) في سير العملية التعليمية وتوقع أداء المتعلمين. وعلية فأن العملية التعليمية تعتمد على المحاضر كمحور رئيسي في تمكين فاعلية تحقيق الأهداف التعليمية، وهو أمر يؤدي إلى أحتمالين متضادين يشملان النجاح والفشل. فالمحاضر يتأثر سلباً إذا كان سقف توقعاته منخفضاً، ولا يتم ذلك فقط من النواحي النفسية كما يعتقد الكثيرين، بل أن الأداء الفعلي للمحاضر رغم وجود الخطط والتوصيفات الدراسية يخفق في تحقيق متطلبات المساق التدريسي. هذا ما يسمى تأثير بجماليون والذي يمكن تعريفة بكونه ظاهرة نفسية تقوم على مبدأ مفاده بأن توقعات الانسان تتناسب طردياً مع أداء الآخرين ممن تعامل معهم ذلك الانسان، وهو أمر ينطبق على المعلم وتلاميذة في البيئة الصفية. تأتي هذه الدراسة لتستقصي ظاهرة تأثير بجماليون على طلبة الفنون بتخصصاتهم العملية الإبداعية وآلية المحاضر في تجاوز التأثير السلبي للظاهرة على العملية التعليمية في المستوى الجامعي لدارسي الفنون.

الكلمات المفتاحية: تأثير بجماليون، الفنون، الخزف.

المقدمة:

يـأتي الظهـور الأول لظـاهرة تـأثير بجمـاليون مـن خـلال منشـور بجمـاليون فـي غرفـة الصـف (Pygmalion in the classroom) الـذي قدمـه عـالمي الـنفس روزنثـال وجاكوبسـون عـام ١٩٩٢(Rosenthal & Jacobson , 2003). وكـان اختيارهمـا لأسـطورة النحـات إلاغريقـي بجمـاليون الـذي أعجـب بتمثـال صـنعه بيديـه حتـى تحـول تمثالـه حيـاً متوافقـاً مـع رؤيـة الظـاهرة التـي رصـدها الباحثـان (Buryanek,2010). يعـرف روزنثـال ظـاهرة بجمـاليون بكونهـا ظـاهرة نفسـية تقـوم علـى مبـدأ مفـاده بـأن توقعـات الانسـان تتناسـب طرديـاً مـع أداء الآخـرين ممـن تعامـل معهـم ذلـك الانسـان (Rosenthal ,2010) . وبنـاء علـى هـذا التعريـف فـأن مـا يتوقعـه المعلـم والمحاضـر مـن تلامذتـه يكـون لـه الأثـر الطـردي المباشـر علـى أداء الطلبـة فـي الحقـل التعلـيم. فالظـاهرة تقـوم علـى فكـرة أنـه عنـدما يـدفع المحاضـر بتوقـع مـا فـأن ذلـك التوقـع يـؤثر مباشـرة علـى صـيرورة العمليـة التعليميـة بغـض النظـر عـن فاعليـة أداء المتعلمـين فـي الميـدان التعليمـي. وبنـاء علـى ذلـك فـأن العمليـة التعليميـة تعتمـد علـى المحاضـر كمحـور رئيسـي فـي تحقيـق الأهـداف التعليميـة بفعاليـة أعلـى مـن المتوقـع، ولكنـه أيضـا يعتبرأمـر يـؤدي إلـى احتمـال منـاقض للنجـاح، فـإذا كـان توقـع المحاضـر منخفضـا فـأن الفشـل قـد يكـون هـو البـديل الأوفـر حضـوراً فـي العمليـة التعليميـة .(Chiusaroli, 2022)

وربمـا كانـأمر الظـاهرة جليـاً ومـؤثراً فـي كافـة مجـالات التعلـيم وصـنوف المعرفـة مـن الناحيـة الأفقيـة، وكـذلك جميـع مراحـل التعلـيم (التعلـيم العـام والجـامعي) مـن الناحيـة الرأسـية. الا أن قيـاس أثـر هـذه الظـاهرة علـى تـدريس الفنـون يعتبرأمـراً مختلفـاً خصوصـاً إذا عُلـم أن مجـالات الفنـون تعتمـد علـى الأثـر الـذي يحققـه تحفيـز الإبـداع مـن قبـل المعلـم للطلبـة. وإذا مـا تـم التعمـق فـي تفصـيل هـذا الشـأن فـأن أثـر هـذه الظـاهرة سـيكون لـه بـالغ الأثـر علـى المسـتوى الجـامعي فـي تـدريس الفنـون نظـراً لوجـود مسـاحات مـن الحريـة التعبيريـة فنيـاً فـي مسـاقات تـدريس الفنـون فـي المسـتوى الجامعي شاملاً الدراسات الجامعية والدراسات العليا.

الا أن هـذه الظـاهرة رافقهـا أنتقـاداً مفـاده بـأن العمليـة التعليميـة برمتهـا سـوف تعتمـد علـى المـزاج الشخصـي المسـيطر علـى المعلـم وأثـر ذلـك المـزاج علـى أداء الطلبـة. وعليـة أصـبح هنـاك مراهنـة كبيـرة علـى تقـدير المحاضـر الشخصـي، فأنـه فـي حالـة توقـع المعلـم السـلبي لأداء الطلبـة، فـأن الأداء الـواقعي سـيكون منعكسـاً طرديـاً مـع توقـع المحاضـر، والامـر سيصـبح أكثـر تعقيـداً فيمـا لـو كـان المحاضـر يتسـم بسـمات السـلبية المسـتمرة. مـن خـلال الأسـتفادة مـن حقـل التـدريس وعينـات

الدراسة بقسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس، تأتي هذه الدراسة لتستقصي أثر (ظاهرة بجماليون) على طلبة الفنون في المستوى الجامعي، لتبحث عن هذه الظاهرة ضمن حدود هذا الأختصاص الإبداعي المختلف جذرياً عن الأختصاصات العلمية الأخرى في ذات المستوى التعليمي الجامعي.

مشكلة الدراسة:

أن الأعتماد على المحاضر وتوقعه الشخصي في البيئة التعليمية أعاد فلسفة التعليم المتمحورة حول المعلم، وأصبحت الرهان معقوداً على ذاتية المحاضر نظير التوقع حسب رؤية ظاهرة بجماليون في تحقيق اهداف التعليم. ومما زاد الأمر تعقيداً هو الطبيعة الخاصة لمجالات الفنون التعليمية (الفنون التشكيلية -التصميم – التربية الفنية ...الخ)، والتي تقوم على تحقيق اهداف وجدانية غالباً، وتعتمد على طرق تدريس تتسم بالحرية والتعبيرية في كثير من الأحيان. فأنه فيما لو أخطأ توقع المحاضر بناء على (ظاهرة تأثير بجماليون) في تدريس الأختصاصات العلمية الصرفة، فأنه من اليسير تدارك ذلك بتغيير مسار التوقع لاحقاً، فأن نتائج الطلبة الكمية الواضحة كفيلة بتغيير توقع المحاضر لتعديل مسار عملية التعليم. ولكن في حالة تدريس اختصاصات الفنون ذات الأهداف الوجدانية غالباً، والنتائج الكيفية المعتمدة على التقديرات الشخصية لمهارات الفنون قد تجعل من أثر ظاهرة بجماليون عبئاً على عملية التعليم وتحقيق أهدافها. تأتي هذه الدراسة لتقف على هذه المشكلة، وتقدم تصوراً للاستفادة من الظاهرة ايجاباً في تحقيق أهداف العملية التعليمية في مجال الفنون ذو الطابع الوجداني والتعبيري المحض.

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة الدراسة لتكون من طلبة جامعة السلطان قابوس بقسم التربية الفنية. وتم اختيار مساق الخزف التدريسي (مقرر خزف ٢) بشعبة الثلاث لتصبح مجموعاته عينة محددة لتطبيق هذه الدراسة. وقد اشتملت الشعب التدريسية الثلاث على عدد (٤٥) طالباً وطالبه من طلبة السنة الثالثة من برنامج بكالوريوس التربية الفنية الممتد لأربع سنوات. يعتبر مقرر خزف ٢ (ترفن ٣٢٢٠) مقرر دراسي عملي غالباً ويصنف في قسم التربية الفنية بأنه مقرر استوديو تمتد عدد ساعاته التدريسية ٤ ساعات حيث تدرس كل شعبة من الشعب الثلاث هذا المقرر يوماً واحداً في الأسبوع، ويمتد الدراسة الفصلية للمقرر بمعدل من ١٤ إلى ١٥ اسبوعاً.

منهج الدراسة:

تم اختيار منهج الملاحظة للعينة كمنهج يلائم مراقبة الظواهر في المجتمع المفحوص (عينة الدراسة)، حيث يتطلّب البحث العلمي ضمن هذا المنهج جمع معلومات حول الظاهرة أو المشكلة التي يتناولها الباحث، وتلك المعلومات حاضرة يقوم الباحث بجمعها من خلال اختيار المفحوصين (عيِّنة البحث) ومراقبة اداءهم من خلال قياس وتقدير التوقع (حسب نظرية ظاهرة بجماليون). ولضمان مصداقية تطبيق الدراسة، قام بتدريس طلبة الشعب الثلاث المختارة كعينة دراسة محاضرين مختلفين لقياس دقة تقييم افراد العينة فيما لو أختلف التوقع من قبل المحاضرين الذين يقومان بالتدريس، وتم تحديد توقع كل محاضر منهما بشكل مستقل دون علم الآخر لضمان مصداقية التنفيذ لأدوات البحث في هذه الدراسة.

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. كيف يمكن إثبات تأثير ظاهرة بجماليون على طلبة الفنون في المرحلة الجامعية سلباً أو ايجاباً؟
٢. إذا كان هناك آثار سلبية لتأثير ظاهرة بجماليون على تعلم طلبة الفنون، فما هي الطرق العملية لتلافي تلك السلبيات؟

ظاهرة تأثير بجماليون على العملية التعليمية:

عندما يتم الحديث عن التوقع في البيئة التعليمية الصفية الجامعية فأن الحديث ينطوي على معتقدات ثابته لدى المحاضر من خلال تأثر المحاضر بمعرفته السابقة للطلبة من خلال خبرته بذات الطلبة في مساقات تدريسية سابقة. فكما يرى سيدا جونزولب ومكادار اوزن (٢٠١٩) في دراستهما المتعلقة بتأثير بجماليون فأن المعلم لا يستطيع غالباً الأنفصال بسهوله عن خبرته السابقة بطلبته ومستويات فاعليتهم التعليمية، وعليه فأن توقعه لأدائهم لا يمكن أن ينفصل عن ذلك التأثير الذي اكتسبه من الماضي. وعلية فأن سلوك توقع المحاضر لأداء الطلبة ليس سلوكاً طبيعياً بقدر ما هو ادمان في بعض الأحيان تأثراً بالماضي الذي أكتسبه. أن الفكرة تعود بنا إلى ما كتبه روبرت ميرتون في عام ١٩٤٨ لأول مرة مقدما فلسفة التوقع التي تتحقق دائما والتي سماها النبوءات المتحققة ذاتيا (Self-Fulfilling Prophecy) والتي كتب دراسة عنها فأصبحت تلك الدراسة لاحقاً كنواة أولى لظاهرة بجماليون في التعليم.

الا أن فكرة النبوءات المتحققة ذاتيا كما طرحها روبرت ميرتون في الأربعينيات لم تكن كافية لتوضيح فكرة أثر توقعات المعلمين على الطلبة، فكانت تجربة الباحثان روزنثال وجاكوبسون في عام ١٩٦٨ هي من وضعت أثر ظاهرة بجماليون ضمن النموذج الأرشادي للعلم. قام روزنثال وجاكوبسون باختيار مجموعة متساوية من الطلبة من فصول مختلفة من المدرسة يقوم بتدريسهم ١٨ مدرساً مختلفاً. ثم قام الباحثان بتعريض جميع الطلبة لاختبار (IQ) قبل بدء العام الدراسي. ومن ثم أطلع الباحثان بنتيجة الأختبار واشارا لكل معلم بأفضل ١٠ طلبة في الصف الذي يدرسونه، ومن ثم اوعزا لهم بأن هؤلاء العشرة هم الأكثر قابلية للتعلم وتحقيق النتائج. وفي الحقيقة لم يكن العشرة المختارين هم المتفوقين، فقد كانت اختيارات الباحثين عشوائية. ولكن أصبح سلوك المعلمين مع هؤلاء الطلبة مختلفاً شاملاً تعاملهم المباشر، اشاراتهم، توقع ردود افعالهم وهلم جرا. لقد كانت كل إشارة او تعبير أو طريقة تعامل واتصال من المعلم للطلبة الذين اعتقدوا بأنهم متميزين في ذلك الأختبار تصل إلى الطلبة كرسالة ضمنية بأن المعلم يتوقع منهم أداء عالياً في الجانب العلمي. وهوأمر في نهاية المطاف قاد هؤلاء الطلبة إلى تجاوز نقاط ضعفهم التي كانوا يعتقدون بأنهم لا يستطيعون الأنفلات منها وأصبح سلوكهم يتماشى مع توقعات المعلمين، هذا مختصر تجربة مؤسسي نظرية ظاهرة أثر بجماليون روزنثال وجاكوبسون عام 1968.

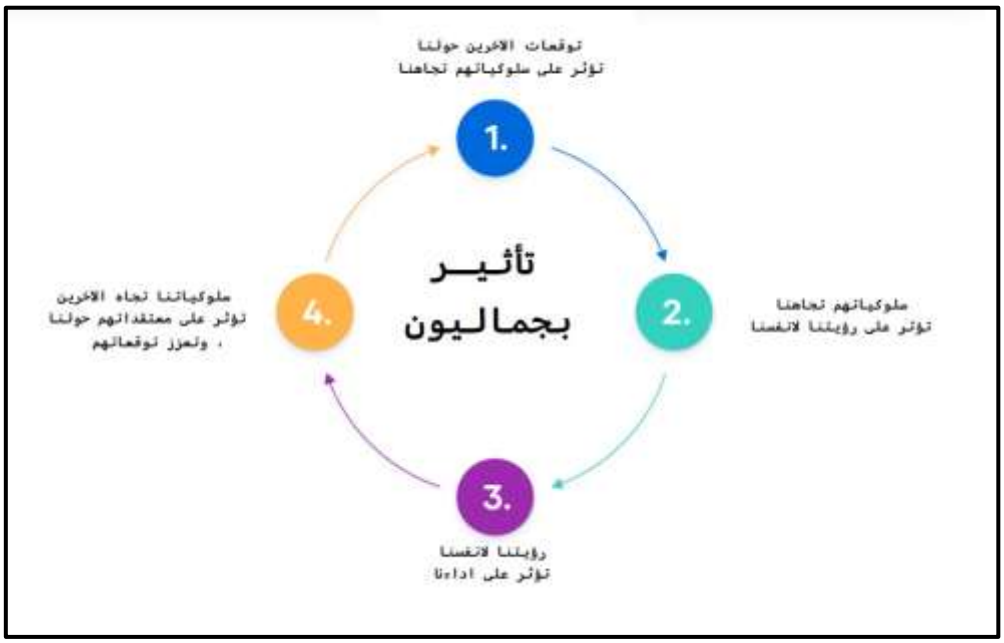

شكل ١: ترجمة الباحث لتصور ظاهرة تأثير بجماليون كما قدمها روزنثال وجاكوبسون عام 1968

(المصدر: Kassiani Nikolopoulou ، ٢٠٢٢)

ولكي ندرك أهمية التوقع الإيجابي الذي حصل علية الطلبة المتفوقون في تجربة روزنثال وجاكوبسون، علينا أن نتصور عدم افصاح الباحثين إلى المعلمين بأسماء الطلبة العشرة، وعلية فأن المعلمين سوف يتعاملون مع الطلبة بلا توقعات مسبقة. فقد يتضح بأن الجانب الإيجابي في عدم معرفة المعلم بالطلبة الذين تفوقوا في اختبار (IQ) يكمن في تعامله المستقبلي العادل داخل بيئة الصف بعيداً عن التأثير الذي جعله يميز سلفاً بين طلبة الصف الواحد. كذلك فأنه بجانب الأثر الأيجابي العالي الذي ابداه الطلبة العشرة في تجربة روزنثال وجاكوبسون يقابله أثر سلبي صرف على بقية الطلبة ممن لم يتم اشعار المعلم بتفوقهم في ذات الأختبار. وحتى لو كان المعلم هو من اختار الطلبة الذي توقع منهم الأداء الأفضل، فأنه لا محاله سوف يستثني مجموع الطلبة تلك من مجموعها أخرى ميزها لا شعورياً بالفشل، وخصص له التوقع المضاد لتوقع النجاح والتفوق، وهو توقع الإخفاق. وفي سبيل تأسيس هذا الجزء من الدراسة علينا أن نتطلع على تأثير غوليم (Golem Effect) في مقابل تأثير بجماليون، حتى يتسنى لنا الأطلاع على أثر التوقعات الإيجابية مقابل التوقعات السلبية في العملية التعليمية سواء الدنيا او الجامعية.

بالحديث عن تأثير غوليم فأنة يمكن أن يكون المرادف الحقيقي لتأثير بجماليون، فهو يحتوي على أسس علمية ونفسية مشابهة للغاية لتأثير بجماليون التي ذكرناها. فبما أن تأثير بجماليون وجد كظاهرة تركز على الجانب الإيجابي للتوقع في البيئة التعليمية، فأن تأثير غوليم في المقابل يركز على الجانب السلبي لتوقعات المعلمين. يؤدي المعلمون الذين تكون لهم توقعات سلبية إلى تهيئة سلوكيات تؤثر سلبياً على أداء المتعلمين، في حين أن المتعلمين يأثرون بتلك التوقعات فينتج عن ذلك سلوكيات سلبية. وعلية فأن ظاهرة غوليم تعد ماثلاً على النبوءة ذاتية التحقق والتي تتعلق بفكرة أن الأعتقادات التي يعتنقها الشخص يمكن أن تقع في الحقيقة اسوة بظاهرة بجماليون. وعلية فأنة عندما يتوقع المعلم ويتأثر المتعلم فيظهر ضعف الأداء من خلال تأكيد التوقعات السلبية والتي يتأكد الأعتقاد السائد بها غالبا.

تجربة طلبة الفنون في دراسة فن الخزف:

في قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس يدرس طلاب برنامج الدرجة الجامعية الأولى (البكالوريوس) مقررين مختلفين في مجال الخزف. حيث يدرس الطلبة مقرر (خزف١) ويكون التركيز من خلاله على تنمية مهارات الطلبة في التشكيل الفني شاملاً طرق تشكيل الخزف

كالحبال الطينية والشرائح والضغط. ثم ينتهي المقرر بتطوير مهارات الطلبة في إخراج العمل الفني وحرقة بحريق يسمى حريق البسكويت (Biscuit Firing). لقد تم اعتبار هذه المرحلة من الدراسة بمثابة اختبار (IQ) الذي قام به روزنثال وجاكوبسون عام 1968 . فقد تم الأطلاع على إمكانيات الطلبة ومهاراتهم من خلال هذا المساق التدريسي وأصبح بمقدور الباحث في هذه الدراسة أن يعرف مستويات الطلبة التدريسية استعداداً لمساق (خزف٢) والذي يأتي بعد عامين من انتهاء مساق (خزف ١). وقبل أن يبدأ دراسة مساق خزف ٢ والذي يشتمل على مهارات فنية تطبيقية اعلى في مجال الخزف، اوعز الباحث (وهو محاضر المقرر الرئيسي) إلى المدرس المساعد في ذات المساق بإسماء وهمية لأفضل الطلبة أداء أسوة بما تم في تجربة روزنثال وجاكوبسون إيضاً. عندها أصبحت جميع حلقات التجربة مكتملة ومترابطة، وتم مراقبة أداء المحاضر المساعد والطلبة من قبل المحاضر الرئيسي (الباحث) لمدة ١٥ اسبوعاً وهي المدة الإعتيادية لفصل دراسي كامل في قسم التربية الفنية بجامعة السلطان قابوس. وفيما يتعلق بموضوع المشروع الرئيسي في المقرر فقد تم اختيار موضوع (المبخرة) كموضوع رئيسي يحقق اهداف المقرر ومخرجاته، حيث طلب من الطلبة انتاج قالب جبسي لمبخرة من تصميم الطالب، وعمل كل طالب على استنساخ عدة نسخ من قالبة وطلاءها بطلاءات خزفية منخفضة الحرارة في الفرن الكهربائي. ويمكن تقسيم نتائج الطلبة بعد انتهاء المشروع الى ٣ مجموعات ، كما يلي:

المجموعة (أ):

قدمت هذه المجموعة من الطلبة اعمالاً فنية أكثر اكتمالاً و أخراجاً من بقية الطلبة، وقد شكل هذه المجموعة عدداً قليلاً من الطلبة من بين جميع مجموعات الطلبة والبالغ عددهم ٤٥ طالباً وطالبة. و كانت أعمال الطلبة اكثر دقة واحترافاً في تمثيل زوايا العمل وظبط خطوطة ومقاساته من خلال القالب الجبسي مباشرة دون الحاجة الى أي عمل اضافي في النسخ الطينية المستخرجة. كذلك ظهر على هذة المجموعة سمات المصمم العصري المبدع والبعيد عن التقليد، فكانت قطع الخزف النهائية قد توافقت مع مخرجات المقرر المطلوبة بمعدل عالي جداً. وفي مرحلة الطلاء كان طلبة هذة المجموعة موفقين فنياً من ناحية اختيار الألوان الملائمة للتصميم وتطبيقها بشكل احترافي ، حيث غابت عيوب الطلاء الإعتيادية من أعمال المباخر الفنية لهذة المجموعة. لقد تواجد في هذة المجموعة أغلب الطلبة الذين تم الإيعاز بكونهم افضل

(AmeSea Database – ae – April- 2023- 609)

الطلبة قبل بداية العمل على المشروع النهائي المتمثل في المباخر، فقد شكل ٦ من مجموع العشرة طلبة في هذة المجموعة، وهو مؤشر صريح على أثر بجماليون على العملية التعليمية.

عينة من ٣ قطع خزفية لمشروع المبخرتمثل المجموعة (أ)

المجموعة (ب):

قدم الطلبة في المجموعة (ب) أعمالاً خزفية تمثل المباخر بمستوى متوسط ، حيث بقت آثار التوجه نحو الأشكال التقليدية ظاهرة في معظم أعمال الطلبة الخزفية ضمن طلبة هذة المجموعة. شكل الطلبة الذين أنتموا لهذة المجموعة أغلبية من مجموع طلبة المقرر البالغين ٤٥ طالباً وطالبة. ظهرت بعض الاخطاء على القوالب الجبسية التي أنتجها طلبة هذة المجموعة مما دفع الطلبة إلى القيام بمعالجات فنية على القطع الخزفية الطينية المستخرجة كإضافة طين أو القيام بعمليات حذف ولصق، وهي مؤشرات على عدم دقة القوالب وجودتها. كذلك ظهر نوعاً من البقع وعدم أستواء الطلاء الخزفي بشكل جيد من الناحية الفنية، وهو أمر يشير إلى تراجع مستوى الطالب وعدم بلوغة للكفايات الفنية المطلوبة كمخرجات تعليمية

حسب توصيف المقرر الدراسي. رغم وجود أغلبية طلبة المقرر ضمن هذة المجموعة تواجد طالبين فقط من الطلبة العشرة الذين أوعز الى المحاضر المساعد بإستعدادهم العالي علمياً وفنياً (مجموعة بجماليون).

عينة من ٣ قطع خزفية لمشروع المبخرتمثل المجموعة (ب)

المجموعة (ج):

أنتمى عدد قليل من الطلبة إلى المجموعة (ج) ، وهي المجموعة الأكثر ضعفاً والتي أنتج الطلبة المنتمين إليها قوالب جبسية ضعيفة فنياً وتقليدية غالباً. كانت الألوان الخزفية غير دقيقة فنياً في معظم أعمال طلبة هذة المجموعة، و لجأ بعضهم إلى أستخدام طلاءات خزفية جاهزة عندما ثبت من خلال التجريب أن خلطات الطلاء التي قاموا بتركيبها في المختبر كانت غير صالحة للتطبيق على القطع الخزفية. رغم وجود أقلية من طلبة المقرر ضمن هذة المجموعة، تواجد طالبين ايضاً أسوة بالمجموعة (ب) من الطلبة العشرة الذين أوعز الى المحاضر المساعد بإستعدادهم العالي علمياً وفنياً (مجموعة بجماليون).

عينة من المجموعة (ج)

نتائج التجربة (ملاحظات الباحث):

من خلال ملاحظة عينة الدراسة المتمثلة في المحاضر المساعد لمقرر (خزف ٢) والطلبة الذين تمت الإشارة للمحاضر المساعد بأنهم أفضل الطلبة فعالية إبداعية في أنتاج الأعمال الفنية الخزفية (سوف نطلق عليهم مصطلح المجيدين من الآن فصاعداً) نظير الأداء في مقرر (خزف ١)، تبين ما يلي:

١. **زيادة الثقة لدى عينة المجيدين والمحاضر:** ظهر تأثر المحاضر المساعد بالبيانات التي تم تزويده بها حول الطلبة المجيدين، حيث تبين للباحث أن هناك نوعاً من الثقة بدأت في الظهور بين المحاضر المساعد والطلبة المجيدين، فتم الأعتماد عليهم في تنفيذ المهام الدراسية في أنتاج المشاريع دون توجيه بشكل يفوق اعتماد المحاضر على بقية الطلبة.
٢. **اختفاء ظاهرة الأسئلة الأحترازية من قبل الطلبة نتيجة الثقة:** ظهر تأثر الطلبة المجيدين جلياً من خلال ثقتهم في أنفسهم اثناء أنتاج الأعمال الفنية وتنفيذ خطواتها العملية في الأستوديو، فقلت الأسئلة الأحترازية التي أعتاد طلبة مقررات الفنون ومقرر

خـزف ٢ خصوصـا طرحهـا تحسـباً فـي الوقـوع مـآزق تشـكيلية فنيـة تـؤثر علـى أنجـاز المشروع الخزفي التطبيقي.

٣. **الجـودة مقابـل الكثـرة تحقـق امتيـازاً لصـالح الطلبـة الأضـعف نتيجـة التركيـز فـي الأشـراف:** أصـبح فـي مقـدور المحاضـر المسـاعد الألتفـات إلـى عـدد اقـل مـن الطلبـة والتركيـز علـى حـل المشـاكل الفنيـة التشـكيلية التـي تـوجههم معتمـداً علـى أن عينـة المجيـدين ليسـت بحاجـة ماسـة ودوريـة للمتابعـة، ممـا جعـل الطلبـة الأقـل فعاليـة فـي تصـوره نتيجـة البيانات الوهمية التي حصل عليها يحصلون على عناية أكبر.

٤. **الوقـوع فـي الأخطـاء التقنيـة نتيجـة غيـاب الأشـراف:** فـي المقـررات العمليـة التطبيقيـة كمقـرر (خـزف ٢) الـذي يشـكل قرابـة ٨٠ % مـن تكوينـه مهـام فنيـة إبداعيـة تطبيقيـه، أصـبحت هنـاك مخـاطرة فـي تتـابع خطـوات الإنتـاج علـى الخـزف فـي حالـة وجـود ثقـة وهميـة زائـدة كمـا حصـل لـدى بعـض طلبـة العينـة المجيـدين. فإنتـاج (القطعـة المصـمتة) التـي يـتم أنتـاج القوالـب الجبسـية بنـاء علـى تصـميمها كانـت بمثابـة مؤشـر علـى وجـود أخطـاء تصـميمية ارتكبهـا طلبـة العينـة المجيـدين نتيجـة الثقـة الزائـدة والشـعور بسـمات الألمـام بفكرة القوالب رغم التعقيدات التي تحتويها تقنيات القوالب الجبسية في أنتاج الخزف.

٥. **الارتقـاء بذاتيـة الفنـان:** تتحقـق سـمة الأعتـداد بالـذات لـدى الطلبـة بقسـم التربيـة الفنيـة ودارسـي الفنـون عمومـاً بوجـود جرعـة كبيـرة مـن الثقـة نظيـر تـأثير بجمـاليون علـيهم. وهـو فـي حقيقـة الأمـر بـالغ الأهميـة فـي دراسـة الفـن التشـكيلي والتربيـة الفنيـة فـي المسـتوى الجـامعي ومـا فوقـه. أن الذاتيـة مهمـة جـداً للفنـان التشـكيلي خصوصـاً إذا مـا علمنـا بـأن كـل فنـان بحاجـة فـي نهايـة المطـاف إلـى تطـوير أسـلوب فنـي متفـرد يمثلـه ضـمن مجتمـع الفنـون التشكيلية أو معلمي الفنون أو حقول الإبداع البصري.

٦. **أنتكـاس فـي ثقـة وفعاليـة أداء العينـة الضـعيفة مـن الطلبـة (تـأثير غـوليم):** يظهـر جليـاً مؤشـرات علـى تـأثير غـوليم (Golem Effect) علـى الطلبـة الـذين لـم يـتم تصـنيفهم ضـمن عينـة الطلبـة المجيـدين. وهـذا التـأثير ظهـر مـن خـلال كـون المحاضـر المسـاعد فـي مقـرر الدراسـة كانـت لـه توقعـات سـلبية أدت إلـى خلـق سـلوكيات تـؤثر بالسـلب علـى أداء طلبتـه الأقـل فعاليـة حسـب التوقـع، وعليـة فـأن الطلبـة مـن فئـة غيـر المجيـدين ذاتهـم خلقـوا لأنفسـهم سـلوكيات سـلبية نتيجـة ذلـك التوقـع. وهـذه الآليـة مشـابهه لآليـة ظـاهرة بجمـاليون علـى الطلبـة، فهـي تعـد بمثابـة المثـال علـى النبـوءة السـيئة ذاتيـة التحقـق، والتـي تتعلـق بفكـرة أن

(AmeSea Database – ae – April- 2023- 609)

الأعتقادات السيئة التي يعتنقها الشخص ايضا يمكن أن تقع في الحقيقة. وعلية عندما يلاحظ المحاضر والطالب ضعف الأداء، يتم تأكيد التوقعات السلبية وتتم تقوية الأعتقاد السائد بها حتماً، وهذا ما ظهر خلال مجريات الفصل الدراسي في مقرر خزف ٢. فالمدرس الذي تعرض لمعلومات متحيزة تعامل مع الطلاب ممن تكون التوقعات المرتبطة بهم أقل بشكل أقل تقديراً من الطلاب الذين تكون التوقعات المرتبطة بهم أعلى. وبالتالي، فقد كان أداء الطلاب الذين تكون التوقعات المرتبطة بهم أقل أسوأ من نظرائهم الذين تكون التوقعات الخاصة بهم أعلى.

تلافي سلبيات تأثير بجماليون على عملية تدريس الفنون:

كما تبين من خلال ملاحظات الباحث حول العملية التعليمية لمقرر خزف ٢ خلال ١٤ اسبوعاً تقريباً، ظهر لدينا مجموعة من الإيجابيات لعبت دوراً محورياً في زيادة فعالية الطلبة المجيدين عند دراسة مقررات الفنون العملية. فجاء على رأسها زيادة الثقة لدى عينة المجيدين والمحاضر، واختفاء ظاهرة الأسئلة الأحترازية من قبل الطلبة نتيجة الثقة، والتركيز على الجودة مقابل الكثرة حقق امتيازاً لصالح الطلبة الأضعف نتيجة التركيز في الأشراف عليهم كحصة كانت من نصيب الكل، وأخيراً وليس آخرا تسببت التجربة في الأرتقاء بذاتية الفنان من خلال زيادة فعالية الأستقلالية لدية. ولكن في المقابل فأن تجربة تأثير بجماليون على تدريس الفنون في جوانبها العملية التطبيقية أدى إلى ظهور سلبيتين يجب الوقوف عليهما:

١. **ظهور بوادر ضعف الثقة وتأثيره على فعالية أداء العينة الضعيفة من الطلبة (مؤشر لظهور تأثير غوليم):**

لقد ظهر من خلال ملاحظات التجربة بأن العينة الضعيفة ظهرت ضعيفة تأثرا بإجراءات التجربة وتعامل المحاضر معهم (العينة الضعيفة تعتبر عينة ضعيفة وهمياً وليس بشكل واقعي، فكما تمت التجربة عبر إجراءاتها فأن الباحث اوعز بأسماء وهمية لعينة المجيدين، وعلية فأن عينة غير المجيدين سوف تكون وهمية ايضا). لقد قامت التجربة على أساس عادل مع هذه الفئة، حيث لم يكن المحاضر يهمش او يقلل من جهود الطلبة غير المجيدين، ولكن كان تمييز الطلبة المجيدين يصنع فارق هامشي سلبي على عينة غير المجيدين. لقد كان بناء تصور استباقي عن الطلبة في مجال تدريس يقوم على الإبداع الذاتي ذا أثر سلبي أكثر من العلوم الطبيعية او البحتة او

اللغات وما شابهها. أن دراسة الإبداع (ومنها الإبداع الفني) بحاجة ماسة إلى التشجيع والتعزيز المتواصل، ولذلك كان أثر غوليم على عينة الدراسة بالغاً في دفع العينة الضعيفة إلى اثبات المهارة الفنية في البيئة الصفية (الاستوديو الفني). وعلية فأنة من الأهمية بمكان أن يدفع المحاضر بجميع الطلبة إلى الإبداع معززاً إياهم على تحسين الأداء. أن تجربة تأثير بجماليون بالغة السلبية على العملية التعليمية في مجال الفنون نظراً لتأثيرها على العينة الأضعف بشكل مباشر كما أظهرت التجربة.

٢. الوقوع في الأخطاء التقنية اثناء أنتاج الأعمال الفنية للطلبة المجيدين نتيجة الثقة الزائدة:

تبين من خلال ملاحظة عينة المجيدين أثناء أنتاج الأعمال الفنية في الأستوديو بأنهم يرتكبون أخطاء تقنية احياناً عند أنتاج المشروع الخزفي خلال مراحل العمل المختلفة. فعلى سبيل المثال، أن عمليات التصور الذهني للكتلة الطينية المصمتة وتشكيلها عند بعضهم لم تكن تلك الكتل الطينية ملائمة للخروج من القوالب الجبسية في حال تم صب الجبس عليها. هذه المشكلة في التصور الذهني التي تتشابه مع التخيل الذي يحدث عن دراسة الهندسة الفراغية تسببت في العودة للوراء لبعض الطلبة والبدء من جديد عندما شعر الطلبة المجيدين بالثقة التي أوعز بها المحاضر لهم. وهكذا أصبح تأثير بجماليون ظاهراً بشكل سلبي صريح إذا ما تعلقت مهمة الدراسة بمراحل تطبيقية متعددة تعتمد كل مرحلة منها على الأخرى.

خاتمة:

تعتبر ظاهرة تأثير بجماليون من الظواهر التي تؤثر تأثيراً مباشراً وكبيراً على العمليات التعليمية في بيئات الدراسة الجامعية عموماً وفي تدريس المواد العملية التطبيقية في مجال الفنون بوجه الخصوص. يأتي ذلك بسبب الطبيعة الخاصة للمواد التدريسية في مجال الفنون التشكيلية والتي تعتمد على الذاتية في الإبداع الفردي، فكان الأيعاز من قبل المحاضر للعينات المجيدة داخل البيئة الصفية بتفوقهم قد أثر بشكل مباشر وصريح على تعلمهم وفعالية اداءهم. وفي مقابل الإيجابيات التي تأتي نتيجة التعزيز حسب تصور ظاهرة تأثير بجماليون ومن ضمنها زيادة الثقة لدى عينة المجيدين والمحاضر واختفاء ظاهرة الأسئلة الأحترازية من قبل الطلبة نتيجة الثقة والتركيز في الأشراف على عينة الفئة الأضعف، ظهرت بعض

السلبيات ايضاً. ومن ضمن تلك السلبيات ظهور بوادر ضعف الثقة وتأثيره على فعالية أداء العينة الضعيفة من الطلبة (مؤشر لظهور تأثير غوليم) من ناحية، والوقوع في الأخطاء التقنية اثناء أنتاج الأعمال الفنية للطلبة المجيدين نتيجة الثقة الزائدة من ناحية أخرى. وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أن ظاهرة بجماليون تظهر بشكل أعتيادي في العملية التعليمية في الجامعات، الا أن ظهورها لا يعني أن المحاضر يجب أن يقف مكتوف الأيدي ويعمل جاهداً للتصدي لسلبياتها.

المراجع:

Rosenthal, R., & Jacobson, L. (2003). *Pygmalion in the classroom: Teacher expectation and pupils' intellectual development*. Crown House Pub. Co.

Buryanek, K. K. (2010). Impact of high-school reform initiatives using the Pygmalion effect. https://doi.org/10.31274/etd-180810-3093.

Rosenthal R. (2010). Pygmalion Effect. *The Corsini Encyclopedia of Psychology* (3, pp. 1398-1399). John Wiley & Sons. https://doi.org/10.1002/9780470479216.corpsy0761.

Chiusaroli, D. (2022). The pygmalion effect in inclusive schools. *INTED2022 Proceedings*. https://doi.org/10.21125/inted.2022.0582

Nikolopoulou, K. (2022, November 18). *What is the pygmalion effect?: Definition & examples*. Scribbr. Retrieved April 10, 2023, from https://www.scribbr.com/research-bias/pygmalion-effect/

GÜNDÜZALP, S. E. D. A., & Boydak Özan, M. (2019). The power of expectations in school management: Pygmalion effect. *Journal of Education and Future*, (15), 47–62. https://doi.org/10.30786/jef.412841

Merton, R. K. (1948). The self-fulfilling prophecy. *The Antioch Review*, *8*(2), 193. https://doi.org/10.2307/4609267